ظاهرة أطفال الشوارع بين الدوافع والآثار

إعداد

ايمان بومعزة

استلام البحث : ١٥ / ٣ /٢٠١٩ قبول النشر: ٢٥ / ٤ / ٢٠١٩

المستخلص :

بعد تركيز الاهتمام حول أهم العوامل الشخصية- المجتمعية- الاقتصادية التي فسرت ظاهرة أطفال الشوارع فان هذه الأخيرة تستعصي بطبيعتها على التفسير الأحادي الذي يردها إلى عامل بعينه. كما أن الآثار و العواقب الوخيمة لهذه الظاهرة على شخص الطفل في حد ذاته و على المجتمع بصفة اشمل يصعب أن تتكفل به الخدمة الاجتماعية فحسب بل يستدعي تظافر جهود جميع الهيئات المختصة و المجتمع المدني و ذلك للتخفيف من حدة هذه الظاهرة إن لم نقل القضاء عليها.

Résumé

Après avoir concentré son attention sur les facteurs les plus importants Personnel - socio-économique - qui explique le phénomène des enfants de la rue, ces derniers Sont intrinsèquement difficiles à interpréter d'une seule manière. Les effets et les conséquences de ce phénomène sur la personne de l'enfant en tant que tel Il est plus difficile pour la société d'être satisfaite non seulement par les services sociaux mais également par la société.Combiner les efforts de tous les organismes compétents et de la société civile afin de remédier à cette situation.Le phénomène, s'il n'est pas éliminé

مقدمة:

الطفل هو حجر الأساس في بناء الأسرة، وبدورها هي اللبنة أو الوحدة الأساسية لبناء المجتمعات و الأمم، و أن تأهيله لتحمل مسؤولياته كرجل المستقبل، يحتم على المجتمع الدولي إحاطته بالعناية اللازمة، وحمايته من مختلف الانتهاكات التي تمارس في حقه، باختلاف الصور الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، فالانتهاكات تطال يوميا في حق الأطفال وهم بدورهم لهم الحق في الحياة ، والحق في الرعاية الصحية و ما ينتج عنه من تفشي الأوبئة والأمراض، و

كذا الحق في التعليم والتي ينتج عنه التسرب المدرسي، و الحق في التعبير وصور كثيرة أخرى.

فهذا الوضع يتطلب التعاون و التطبيق الفعلي للآليات القانونية والقضائية لحماية حقوق الطفل، وذلك لا يكون إلا إذا شعر المجتمع الدولي بواجب إحياء الضمير الإنساني في هذا المجال وتخطى جميع النزعات والإيديولوجيات و التحيز لطفل دون الآخر.

إن الطفل هو ثمرة ورصيد الأسرة ومستقبل المجتمع، و يكون كذلك فعلا إذا أحيط بالعناية اللازمة، هذا الأمر يبدو للوهلة الأولى، لكن الواقع عكس ذلك تماما، لأنه عبر مختلف الحقب الزمنية التي سبقت فجر الإسلام، كان الطفل عرضة لشتى أنواع الانتهاكات والمساس وخير دليل على تكريم الإسلام للإنسان، هو الآية الكريمة ٧٠من سورة الإسراء قوله تعالى":**ولقد كرمنا بني أدم**"، والتكريم في الإسلام أسمى وأرقى بكثير من تمكين الإنسان من حقوقه المختلفة، زيادة على ذلك فصوره عديدة ومتنوعة لا يمكن حصرها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما ورد بخصوص تحريم قتل النفس، في سورة الإسراء الراية17 في قوله تعالى **":ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا."وفي قوله تعالى ":وإذا المودة سئلت بأي ذنب قتلت("الآية) 9 من سورة التكوير**. ومع ظهور الدولة الحديثة، التي جاءت على أنقاض الأمم والحضارات والصراعات والحروب ، والتي نذكر منها على الخصوص:

- الحروب الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية، وما خلفته من خسائر بشرية لم يسلم منها حتى الأطفال.

- الحربين العالميتين الأولى و الثانية، وما خلفتاه من زهق لأرواح الأبرياء في صفوف الأطفال.

- التوترات والنزاعات و الدولية والإقليمية والداخلية والحروب القومية التي كان من ضحاياها الأطفال،والتي كانت المحاكمات الجنائية الدولية فيما يسمى بمحاكمات مرتكبي المجازر في كل من اليابان ونورمبيرغ، ويوغوسلافيا السابقة، ورواندا.

وهذا الوضع المتصف بالمجازر في حق الأطفال ما ا زل إلى يومنا هذا قائما في حق أطفال الأبرياء في فلسطين، من طرف الآلة الإرهابية المدمرة الصهيونية في ظل الصمت الدولي وتخاذل الأنظمة العربية، وكأن حقوق الطفل التي يتحجج بها الغرب لا تشمل أطفال فلسطين والعراق .

رغم الوضع القائم، المتميز بقتل الأطفال، واستغلالهم في العمالة، بالإضافة إلى استغلالهم في الدعارة و الجنس و المواد الإباحية، وتجنيدهم في حروب الكبار، زيادة على الحرمان من التغذية و التعليم و الرعاية الصحية في عدد من الدول الفقيرة

في العالم، يجب أن نذكر المبادرات و الجهود الوطنية والدولية في مجال تكريس مبادئ احترام حقوق الطفل، والرغبة في إرساء الحماية الواجبة لهذه الحقوق.

إن تواجد الأطفال في الشوارع سلوك إنساني غير سوي، لا ينطلق من العدم بل مرتبط بعوامل مختلفة من فرد لآخر و من مجتمع إلى أخر .وتساهم في انتشاره العديد من الاضطرابات النفسية و الأزمات الاجتماعية و الاقتصادية .كما يعد موضوعا إنسانيا خطيرا و مأساة تتطلب حلا لما تخلفه من انحرافات و عواقب عديدة تنتشر في المجتمع فتؤدي به إلى الهلاك لذا اهتمت به العديد من العلوم التي تعني بالإنسان و قضاياه. في الحقيقة لا توجد عوامل خاصة بهذه الظاهرة في حد ذاتها بل إن معظم الدراسات سواء في علم النفس أو في علم الاجتماع أو غيرها، تؤكد و بوضوح و موضوعية على أن العوامل المتحكمة في بروز ظاهرة أطفال الشوارع هي نفسها المتحكمة في ظاهرة الانحراف عند الأحداث، و بالتالي فان استفحالها يؤدي مع الوقت إلى وقوع الأطفال في الانحراف و الجريمة.

وبهذا نطرح الإشكالية التالية: ماهية أسباب ظهور وتفشي ظاهرة أطفال الشوارع في المجتمعات البشرية و العوامل المؤدية إليها؟ا، ماهي سمات أطفال الشوارع و المخلفات و الآثار لتواجد الأطفال في الشوارع؟وللإجابة على هذه التساؤلات نحاول في هذا البحث التطرق إلى ظاهرة اطفال الشوارع والاجابة على جل التساؤلات تم تقسيم البحث كالتالي:

أولا :ظاهرة أطفال الشوارع في المجتمعات البشرية

كان تواجد الأطفال في الشوارع بكل ما تحمله هذه الظاهرة من التشرد و انحراف ملازما للحياة البشرية في أشكالها المجتمعية، فلم يخل مجتمع من المتشردين و المنحرفين ووسائل معالجتهم بمختلف أنواعها.

إن المتتبع لتاريخ هذه الظاهرة والتي ارتبطت بكل ما هو انحراف وتشرد وفسادا وباعتبارها ظاهرة اجتماعية أيضا، يلاحظ أنها ميزت المجتمع الإنساني القديم، فقد عانت المجتمعات البشرية القديمة و الحديثة وخاصة المجتمعات الغربية من جملة من الإختلالات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية أثرت على النظم والأدوار الاجتماعية.

الأمر الذي دعا بالعديد من المفكرين و الباحثين والمشرعين للاهتمام بهذه الظاهرة وسن تشريعات تهدف إلى التخفيف من حدتها. فمند عام 2270 ق م ظهرت شريعة حمو رابي في وادي مابين الرافدين ، كأول قانون مكتوب لتنظيم الأسرة و تحديد العلاقات القائمة بين الأفراد ، فكانت سلطة الأب في العديد من المجتمعات التاريخية القديمة سلطة مطلقة غير محدودة، وكان الأب حاكم الأسرة وجميع مسؤوليات أفرادها في قبضته ، كما كان الخروج عن طاعة الأب جريمة تستوجب العقوبة القاسية ، ولقد ورد في الفقرة 195 من شريعة حمو رابي مثلا : إذا صفع

الابن أباه تقطع يده. ووردت نصوص قانونية أخرى تعاقب الابن الذي يهرب من بيته بفقء عينيه .ويعاقب الابن المتنكر لأبيه أو من تبرأ من أمومته علانية بقطع لسانه[1]

أما القانون الروماني فقد أعطى السلطة المطلقة في تربية الأطفال وضبط سلوكهم للأب ، حيث كان للأب الروماني سلطة واسعة غير مشروطة ، فقد بلغت شدتها لحد استعمال عقوبة الإعدام ، بل وبوسع هذا الأب بيع أفراد الأسرة في السوق ورهنهم لقاء دين غير أن هذه السلطات المطلقة للأب بدأت تفقد بعض قوتها في عصور لاحقة فألغيت بعض العقوبات وحلت محلها أخرى أخف منها. وبدأت المجتمعات تميز تشريعاتها بين الأطفال والبالغين من جهة وبين الأطفال وفق مراحل نموهم الطبيعية تبعا للتمييز بين أعمارهم، فأصبحت العقوبات تسن بما .يتناسب مع كل مرحلة من مراحل العمر [2]

١ :ظاهرة أطفال الشوارع في الجزائر

إن تطور هذه الظاهرة اجتماعيا أرتبط بمراحل زمنية واكبت التغييرات الحاصلة في الجزائر سواء سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا ، وليس خفيا بأن الجزائر قد عرفت تطورات وتغيرات ملحوظة منذ الحقبة الاستعمارية وحتى الآن ، وسنحاول تتبع الظاهرة بحسب أهم المراحل التاريخية منذ الاستعمار فالاستقلال وحتى المرحلة الراهنة .إذ لم تكن هذه الظاهرة أيام الاستعمار معروفة بشكل رسمي ، لأن هذا الأخير كان يقتل ويشرد العائلات والأطفال دون تمييز ويعتبر الشباب الجزائري سواء البالغين منهم أو غير البالغين منحرفين وخارجين عن نظام الطاعة المفروض عليهم ماداموا لا يتعاملون معه وماداموا يتمردون على قوانينه.

غير أنه يمكن القول أن جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية الكبرى، وزعماء الحركة الثورية ، والحركات الإصلاحية ، كانوا يقومون بتوعية الشعب الجزائري و العمل على إصلاح سلوك الشباب وجعله يتبع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي هو دين كل الجزائريين.

إن الأرقام الرسمية للمتشردين والمنحرفين المسجلين في سجلات الدوائر الفرنسية بالجزائر تشير خلال الحقبة الاستعمارية ، إلى أن عددهم قد انخفض بنسبة ملحوظة بين سنة 1952 حيث بلغ عدد المتشردين والمنحرفين بما فيهم الأطفال 4362في حين بلغ عددهم 3189 في سنة 1956 ، ويبدو أن العدد ظل ينخفض بعد

[1] كمال الدسوقي، علم النفس العقابي و تطبيقاته، دار المعارف ، مصر ، 1961 ،ص٣٩.
[2] عدنان الدوري ، جناح الأحداث -المشكلة و السبب-ط 1 ، ذات السلاسل، الكويت ، دون سنة،ص٣٤

ذلك نتيجة لعامل الثورة .التي امتصت الشباب واستغلته في مقاومة الاستعمار الفرنسي[٣]

لكن منذ بداية فترة الاستقلال بدأ الاهتمام واضحا بالطفولة و الشباب، فلقد جاء في عام 1964 أن الاستعمار الفرنسي قد خلف la charte d'Algérie 300 ميثاق الجزائر ألف يتيما ومتشردا لم يبلغوا سن الرشد، ومن بين هؤلاء 30 ألف يتامى الأبوين. هذا معناه أنه لا يوجد من يعيلهم ويرعاهم بمعنى آخر أنهم معرضون للشارع بكل ما فيه من انحرافات وتشرد من دون شك .وعليه نص الميثاق على الإعانة و الرعاية والحماية التي يجب توفيرها لهؤلاء الأطفال والشباب.

في الحقيقة أنه بالنظر إلى أوضاع البلاد خلال السنوات الأولى من الاستقلال يمكن القول أن الحزب لا يمكنه التكفل بالمجاهدين ومعطوبي الحرب وأرامل الشهداء. وإذا التفتنا إلى التشريعات القانونية المتعلقة بتواجد الأطفال في الشوارع المتشردين .والمنحرفين في الجزائر المستقلة لوجدنا أنها دخلت حيز التنفيذ إبتداءا من سنة 1966 ، أما قبل ذلك التاريخ فلا توجد معلومات رسمية تدل على عملية التكفل بالتشرد ، و الانحراف أو اليتامى من لا مأوى لهم[٤]تجدر الإشارة أن القوانين التطبيقية بخصوص شريحة الأطفال المتشردين والمنحرفين ورعايتهم قد بدأت مع تطبيق قانون العقوبات و الإجراءات الجزائية عام 1966 ثم تدعم بالأمر المتعلق بحماية الطفولة والمراهقة عام 1972 ، ثم القانون الأساسي النموذجي لحماية الطفولة والمراهقة عام 1975 ، وأخيرا الأمر المتضمن إحداث المؤسسات و المصالح المكلفة بحماية الطفولة المراهقة

٢ :ظاهرة أطفال الشوارع في العراق

قد يكون من المفارقات اللافتة للنظر ، إن قضية عمل الأطفال التي احتلت موقع الصدارة في اهتمامات الفكر الإنساني و السياسي والاقتصادي والاجتماعي والقانوني ، منذ مطلع القرن التاسع عشر ، على المستويين الوطني والدولي ، لاتزال تحتل المكان ذاته من اهتمامات هذا الفكر تُعد ظاهرة عمالة الأطفال واحدة من المشكلات الخطيرة التي تواجه المجتمعات الإنسانية في كثير من بلدان العالم وفي مقدمتها دول العالم الثالث التي برزت في معظمها ظاهرة عمالة الأطفال وتفاقمت بشكل غير عادي وبالذات منذ أواخر القرن المنصرم تقريباً ، لتصل إلى درجة يمكن

[٣]بن يوسف بن خدة، اتفاقيات ايفيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1989 ،ص٨٦

[٤]جبهة التحرير الوطني، ميثاق الجزائر المصادق عليه في المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني، ص٨٠

القول إنها باتت تمثل مصدر قلق وتحدٍ كبير بالنسبة للأنظمة والحكومات في هذه الدول .

وتشمل الإساءة كل أشكال سوء المعاملة الجنسية، والجسدية، والنفسية،والعاطفية ويندح غالبا ضمن الإساءة أنواع مختلفة حماية شخص الطفل من كل أشكال الضرر والإساءة والاستغلال حماية الطفل من كافة العوامل التي تحول دون تمتعه بحقوق الأساسية ويكتمل نموذج الحماية بما تقرره الاتفاقية الدولية من وجوب التزام الدولة بدعم إمكانيات وقدرات الأسرة للاضطلاع بمسؤولية تنشئة الطفل وتربيته ولا يتجسد هذا إلا بنموذج الحماية وإنشاء آليات تقام على مستوى المجتمع المحلي لتوفير الحماية وتقديم الرعاية والدعم بأسلوب متكامل للأطفال المعرضين للخطر مع تقديم الدعم لأسرهم. ، إضافة إلى العديد من الهيئات والمنظمات الدولية المعنية التي اتخذت تولي هذه المشكلة اهتماماً كبيراً وعمدت إلى تبني أنشطة وسياسات وبرامج عمل تهدف من خلالها إلى مساعدة العديد من الدول والمجتمعات على إيجاد الحلول والمعالجات التي من شأنها الحد من ظاهرة عمالة الأطفال.

وفي مقدمة المنظمات المعنية بقضية عمالة الأطفال في العالم منظمة العمل الدولية ،ومؤسسة الأمم المتحدة ، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو، (Unesco) لرعاية الطفولة ، ومنظمة الصحة العالمية(WHO) .

غير أن تلك الأنشطة والجهود المبذولة من جانب الحكومات والمنظمات الدولية تظل محدودة الأثر على ارض الواقع وغير قادرة على تحقيق الأهداف المتوخاة في وضع المعالجات اللازمة لهذه الظاهرة التي أخذت تتفاقم وتستفحل من عام إلى آخر بسبب تزايد معدلات البطالة والفقر وانهيار الأوضاع المعيشية والاقتصادية التي تفاقمت أكثر منذ العقد رغم مصادقة جميع الدول الأعضاء في منظمة العمل الدولية ماعدا دولتين على الاتفاقية المعنية بحقوق الأطفال التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٨٩إن البطالة والفقر وانهيار الأوضاع الاقتصادية وراء تفاقم الظاهرة واستفحالها في دول العالم الثالث

ثانيا: حجم ظاهرة أطفال الشوارع و آثارها

إن تناول ظاهرة أطفال الشوارع بالدراسة، و تحليل التأثيرات و التفاعلات التي تحدثها تلك الظاهرة على النسيج الاجتماعي بات واقعا ملحا، كما أن المتتبع لحجم الظاهرة على المستوى العالمي، الإقليمي و المحلي يدرك خطورتها و تداعياتها، كما أنه لا توجد إحصائيات دقيقة و بيانات رسمية و ذلك نظرا لتداخل المفاهيم و التعريفات حول من هو طفل الشارع ؟ إذ لا يمكن الفصل بين الطفل المتشرد و المنحرف و المتسول و العامل، و المتسرب من المدرسة،كما أن الخلط بين الطفل في الشارع و طفل الشارع حال دون الوقوف على حقيقة هذه الظاهرة، فبمجرد

خروج الطفل إلى الشارع تصبح لصيقة به جملة من الصفات و السمات لكل واحدة نتاج مميزة.

١ :عمالة أطفال الشوارع

وحيث لم تتوفر إحصائيات دقيقة عن حجم عمالة الأطفال على مستوى العالم تشير تقارير بعض المنظمات الدولية المستقلة إلا إن عدد الأطفال المنخرطين بأسواق العمل على مستوى العالم هو في تزايد كبير جدا وفي سياق جهود المنظمات الدولية الرامية إلى معالجة مشكلة عمالة الأطفال كانت منظمة في الدراسة وإما عن طريق توفير التعليم في مكان العمل ، وتوفير خدمات إعالة لأولياء الأمور بحيث ان اليونيسيف قد أعدت " قائمة مراجعة " تتضمن : زيادة فرص التعليم إما عن طريق اخذ " إجازة" للانضمام ، خاصة الأمهات ، وتشجيع التشدد في تطبيق القوانين ضد المتجرين بالأطفال ومن يبرمون "عقود إذعان " في مجال عمالة الأطفال ، وتوفير خدمات للأطفال الذين يعملون في الشوارع ،ورفع سن الزواج ، وتغيير القيم الثقافية والاعتراف الاجتماعية التي تتساهل إزاء الاستغلال الاقتصادي للأطفال من أدب الأطفال العربي ، الانترنت .

تشكل ظاهرة عمالة الأطفال مشكلة حقيقية يعاني منها المجتمع العراقي والمجتمعات النامية ،وهذه المشكلة تقف عائقاً أمام التنمية الاقتصادية فضلاً عن الآثار الاجتماعية والنفسية التي تخلفها والتي تلحق بالأطفال نتيجة حرمانهم في عيش طفولة سعيدة وفي أجواء آمنة يوفرها المجتمع للطفل وتوفير الجانب الصحي والبيئي والثقافي وخاصة في مجال مسرح الطفل وسينما الطفل والصحف والمجلات المتخصصة وكل هذه ان توفرت ستعد جيل معافى يستطيع النهوض في البناء الحضاري للعراق الجديد ومن اجل التعرف عن كثب حول مكافحة عمل الاطفال كانت هناك مقابلةاجريت مع مديرة قسم مكافحة عمل الأطفال ، إذ قالت فيها : بأنه قسم متخصص في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تأسس عام٢٠٠٤ معني بالمكافحة والقضاء على عمل الاطفال تدريجياً

وبنشر الوعي من المخاطر التي تنجم عن هذا العمل . كذلك تنسيق الجهود مع مختلف الادارات الحكومية وهيئات المجتمع المدني والمنظمات الإقليمية والدولية وأضافت[٥]:

أن أسباب إنشاء القسم هو حجم مشكلة عمل الاطفال وتأثيرها السلبي المباشر على الطفل خاصةً والمجتمع عامة ، وعن الهدف العام لإنشاء هذا القسم أكدت على سعيهم للقضاء على أسوأ أشكال عمل الاطفال وحمايتهم من العمل ألقسري

---

[٥] Rouquette Michel-Louis et Rateau Patrick, Introduction à l'étude des représentations sociales, Presse universitaires de Grenoble.1998.

واستخدامهم في اعمال غير شرعية في أي عمل من شأنه ان يلحق الأذى بصحتهم او سلامتهم او سلوكهم الأخلاقي[٦] . وان الاتفاقات الدولية تسهم في الحث على ضرورة توفير الحماية للاطفال من الاستغلال بوجه عام ، ومن الاستغلال الاقتصادي بوجه خاص ، إلا إنها جميعاً سعت لتوفير الحماية للاطفال من خلال الجوانب التالية-: حضر الأعمال الخطرة ، حظر الأعمال الليلية ، تحديد الحد الأدنى لسن العمل ، تحديد ساعات العمل، الفحص الطبي لمعرفة مدى اهلية الطفل للقيام بالعمل وهناك منظمات إنسانية ودولية تهتم بالأطفال المشردين وتبحث عن أسباب والدوافع التي أدت بهم إلى إتباع هذا الطريق وهي كالتالي:

منظمات إنسانية:

-لا تتوفر لدينا إحصاءات مفصلة ودقيقة عن نسب الأطفال المشردين بسبب غياب الاهتمام
الحكومي بشؤون الطفولة.

-هناك نحو سبعين ألف تلميذ متسرب عن مقاعد الدراسة في عموم المحافظات العراقية.

-الأمم المتحدة:

بلغ عدد الأطفال الذين تحتجزهم حكومة العراق في السجون) ٨٣٨ (حتى نهاية عام) ٢٠٠٨.

-منظمة اليونسكو:

يبلغ عدد الأطفال البالغين سن الدراسة الابتدائية الذين ليرتادون المدرسة مليونين طفل.

-الأمم المتحدة:

٢٠ % من ضحايا العنف في العراق أطفال ونساء.

-اليونسيف:

-أطفال العراق في خطر وبحاجة ماسة الى مساعدة فورية.

-ملايين الأطفال العراقيين يتعرضون لصدمات نفسية مدمرة.

-منظمات إنسانية:

-طفل واحد من بين كل ثمانية أطفال في العراق يموت قبل بلوغه سن الخامسة نتيجة الأمراض والعنف

-أطفال الشوارع في العراق فريسة للجوع والاستغلال الجنسي خلال سعيهم لتحصيل لقمة العيش.

---

[٦] ميموني بدرة معتصم ، الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل و المراهق ، ديوان . المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2003

إن ظاهرة عمالة الأطفال تزداد في العراق .. والأمم المتحدة تحذر من استغلالهم"" [٧] تلاميذ تركوا الدراسة ليعيلوا عوائلهم وكثيرون منهم ليجيدون القراءة والكتابة" كثرت في الآونة الأخيرة ظاهرة تشغيل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين١٠ سنوات في أعمال لا تتناسب وأعمارهم ولا حتى بنيانهم الجسمي ، بالرغم من ، ٧ القوانين الدولية التي منعت تشغيل الأطفال في أعمال كهذه والتي بات الطفل العراقي معتمداً عليها بسبب الظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها عائلته. أصبح منظر الأطفال العاملين في تنظيف شوارع العاصمة بغداد طبيعياً ، بعد أن شرعت امانةبغداد والمجالس البلدية بتوظيفهم بصفة عمال نظافة مقابل اجر يومي لايتعدى الألف دينار عراقي -الأمر الذي دفع الكثير من الأطفال بالإسراع للعمل في هذه الوظيفة التي تشهدها البلاد من اجل إعالة عوائلهم التي تعاني من العوز المادي والفقر المدقع **وخير دليل السيدة التي ألقت بنفسها وبطفليها الاثنين من جسر الأئمة ببغداد يوم ٢٢فيفري٢٠١٩ حيث قامت الشرطة النهرية بإنقاذها وإنقاذ طفل واحد في حين لا يزال البحث جاري عن الطفل الآخر بسبب الأوضاع الاقتصادية المزرية وضنك العيش وعدم القدرة على تلبية الاوياء لأطفالهم ادني متطلبات الحياة وهدا ما دفع بهذه السيدة إلى هذا إضافة إلى ذلك** ويضطر الأطفال أيضا للعمل في معامل أهلية وحكومية وورش عمل مختلفة وحتى في أعمال شاقة لايستطيعون تحملها ، كأعمال البناء ، منذ ساعات الصباح الأولى ، حتى أوقات متأخرة من النهار ، وفي بعض الأحيان يعملون في نوبتين للحصول على مال أكثر والهروب من المشاكل التي تنتظرهم في حال عودتهم لمنازلهم ، لاسيما وان الكثير من الآباء قد دفعوا أبنائهم للعمل والعودة لهم بالمال ، وفي حال عدم تمكن الطفل من جلب المال اللازم فان والده سيقوم بتوبيخه ضربا مبرحا وفي بعض الأحيان يصل إلى إصابة الطفل بالإعاقة الجسدية نتيجة لذلك الضرب ويرجع ارتباط عمل الأطفال بالثورة الصناعية إلى عامل موضوعي ، ذلك لان هذه الثورة أدت إلى حلول الآلة (محل) الأداة ، مما نتج عنه تناقص الاعتماد على القوة العضلية للعامل، وهذا سمح باستخدام فئات جديدة من قوة العمل متمثلة بفئتي النساء والأطفال اللتين لم تكن قوتهما البدنية تسمح باستخدامهما على نحو واسع في الأعمال التي تحتاج إلى جهد بدني كبير لأدائها قبل اختراع الآلات.

وبدخول العمال من هاتين الفئتين إلى سوق العمل – عرفت بريطانيا ظاهرة استخدام أسرة العمل بكامل إفرادها في خدمة صاحب العمل ، وبرزت معها مساوئ هذا الاستخدام ،وصور شتى للاستغلال الذي مارسه أصحاب العمل لعمل الأطفال ،

[٧] Seca J.C, les représentations sociales, Armand Colin, Paris 2002.

وكما كانت بريطانيا البيئة الأولى التي عرفت ظاهرة عمل الأطفال ، كانت هي أيضا السباقة إلى ان تتدخل حكومتها في الحد من
الآثار السلبية لهذه الظاهرة ، مستخدمة التشريع أداة لتحقيق هذا الغرض ، فأصدرت في عام ١٨٠٢قانوناً لحماية الأطفال العاملين – يشار إليه تاريخياً على انه يمثل أولى القواعد القانونية لتدخل الدولة في تنظيم علاقات العمل – واليه يرجع الباحثون تاريخ ميلاد قانون العمل ،كفرع جديد من فروع القانون ، إلا أن هذا القانون لم ينل نجاحاً يذكر في التطبيق ، على الرغم من ضيق نطاق تطبيقه.

٢: الجنوح و الانحراف

تقول إحدى مراجعات البنك الدولي :حينما يسود الفقر و عدم المساواة في مجتمع ما تتزايد احتمالات انحراف الأطفال، كما تتزايد مخاطر استغلالهم اليونيسيف 1997 في الجزائر نجد هناك ازدياد لأعداد أطفال الشوارع في السنوات الأخيرة، و لكن للأسف معظم الدراسات كانت من منظور قانوني و كان ينظر إلى أطفال الشوارع كمنتهكين للقانون أو بما يعرف بالأحداث المنحرفين و المشردين و المتسولين و الذين يقومون بأعمال هامشية، و وفق النظرة العامة للمجتمع حيث توجد معايير اجتماعية للسلوك الإنساني منها الأعراف و العادات و التقاليد لكل مجتمع تعبر عن خصائصه و ثقافته و أسلوب الحياة، هذه الرؤى من خلالها تشكل التصور الاجتماعي لأطفال الشوارع لدى عينة بحثنا فحتى المختصين في مجال التربية و علم النفس و علم الاجتماع.[٨] . لهم نفس الأحكام المسبقة على طفل الشارع دون الرجوع إلى العوامل المؤدية إلى ذلك، و هذا ما وقفنا عنده أثناء بحثنا هذا حين اعتبرت عينة بحثنا أطفال الشوارع متشردين،منحرفين ،متسولين.

ثالثا:العوامل المؤدية إلى ظاهرة أطفال الشوارع

يختلف أفراد المجتمع الواحد، عن بعضهم البعض في جملة من الخصائص و الصفات الشخصية، و التي يقصد بها مجموع العوامل المتصلة بشخص الطفل بمالها .من تأثير مباشر أو غير مباشر على سلوكه، والتي قد تكون وراثية أ و مكتسبة [٩]

إن المقومات الأساسية البيولوجية و النفسية للطفل تتضمن المقومات البيولوجية والتي تتصل بتكوين الفرد الجسمي من حيث الشكل الخارجي ومن الناحية

---

[٨]قيرة إسماعيل و آخرون، التصورات الاجتماعية و معاناة الفئات الدنيا،دار الهدى .عين مليلة ، ب.ت.ن،2001

[٩]سلوى عثمان الصديقي ، أساسيات في طريقة العمل مع الحالات الفردية في الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ،١٩٩٨ص٨٣

الصحية .و أما المقومات النفسية فهي تتعلق بقدرات الطفل وميول ورغباته و انفعالاته[١٠]

1-العوامل الشخصية

1-1-العوامل الجسدية

وتعني مجموعة من الصفات المتعلقة بشكل الأعضاء ووظائفها وقد تتمثل في شذوذ شكل الأعضاء الخارجية أو اضطراب في أداء الأعضاء الداخلية لوظائفها ونطلق على هذا التكوين " التكوين الغددي المعيب " [١١]

1-1-1-التكوين الغددي

يعد العالم الباحث " كويزبرمان "من الذين اعتبروا التكوين الغددي عاملا من العوامل المساعدة على انحراف الأطفال وتشردهم في الشوارع وأدمج هذه المسألة في أبحاثه وتوصل إلى أن التكوين الغددي دخل في السلوك الشاذ غير السوي لدى الأطفال وذلك أن إفرازات الغدد الصماء تعتبر ذات تأثير في سلوك الإنسان وردود أفعاله لأنها إفرازات هرمونية تساعد على ظهور اضطرابات في شخصية الفرد " الطفل "إذا ازدادت عن معدلها ، بل وقد تحدث تشوهات جسمية وعاهات بارزة في جسم الإنسان.

١-١-٢-الأمراض والعاهات

إن النقص الذي يحدث في جسم الطفل يجعله مغايرا لغيره من الأطفال الأسوياء و هذا ما قد يؤثر على نظرته لنفسه وكذا معاملة الناس له ، كأن يعامل بالقسوة أو السخرية أو الشفقة الزائدة والعطف الشديد ، قد ينعكس على سلوكاته سلبا ، فيتكون عنده الشعور بالنقص الذي يضطر به للانسحاب من الجو الأسري و الهروب خارج البيت وبالتالي التواجد بالشارع.

1-2-العوامل النفسية

هي مجموعة المؤثرات الشعورية واللاشعورية التي تؤدي إلى اختلال واهتزاز في الشخصية مما يجعل صاحبها مهيأ لاقتراف سلوكات لا سوية كالهروب من البيت التشرد الجنوح و الانحراف ... الخ. حاول التحليل النفسي تفسير السلوك غير السوي والمنحرف ، باعتباره اضطراب نفسي وبذلك ساعدت مبادئ ومفاهيم هذا الاتجاه على فهم تركيب الشخصية. إن وظيفة علم النفس التحليلي تكمن في تحليل كيف

---

[١٠] محمد طلعت عيسى وآخرون ، الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين ، المرجع السابق ، ص ١٢٢

[١١] علي محمد جعفر ، الأحداث المنحرفون ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، دون سنة ، ص٣٠

يتحقق الفعل Lagache يرى أو السلوك اللاسوي من الضغوط ، و يحقق بعض الإمكانيات.
لقد ساهمت المقاربة التحليلية في وضع خطط تربوية وعلاجية، وهذا بعد فشل الأساليب التربوية التي كانت تقوم على مبدأ العقاب والثواب ، يرجع مؤسس هذا الاتجاه
السلوك المنحرف إلى الصراع القائم بين "S.Freud " الطبيب النمساوي " سيغموند فرويد
مكونات الشخصية ، والتي تعود إلى عدة أسباب منها الكبت المستمر في مرحلة الطفولة
الإحباط الشديد في مرحلة الكبر ، القلق الشديد ، اختلال الجهاز النفسي الشخصية.
اتجهت عدة بحوث إلى دراسته العلاقات الانفعالية بين الآباء و الأبناء بعضهم البعض وتأثيرها على تشكيل شخصية الطفل، وإلى دراسة بعض الموضوعات الخاصة
مثل المبالغة في الرعاية من جانب الأم والمنافسة بين الإخوة.
إن خبرات الطفولة المبكرة تؤدي إلى توقف نمو الشخصية خاصة الصدى الأموي
الخبرات الصادمة ، الانفصال عن الأم خلال السنوات الخمسة الأولى من حياة الطفل.
إن العوامل النفسية الدينامية تؤدي إلى عدة ظواهر مثل الهروب من البيت ، السرقة
يرى التحليليون أن الطفل يلجأ إلى الانحراف والتشرد والعدوان دفاعا عن قلقه وعدم اطمئنانه ، فالإحباط يثير الشعور بالعدوان ، ولكن هو يعرف أن التعبير من هذا العدوان
سيقابل بعدوان مضاد له ، وهو هنا يرى خير وسيلة لضبط الخوف و القلق من العدوان
المتوقع ، هي البدء بهذا العدوان الذي يأخذ صورا وإشكالات عديدة كالانحرافات السلوكية، وسلوكه هذا لاشعوري هدفه التعويض أو الإبدال أو التخلص من الصراع الذي
يعاينه من جراء الصراع بين المكونات النفسية الثلاثة الشخصية "الهو ، الأنا ، الأنا الأعلى ." من ناحية ومطالب المجتمع من ناحية أخرى [١٢]ويرى " سيغموند فرويد " أن اللاشعور يلعب دورا كبيرا في الصراع النفسي فالطفل أو المراهق يهرب من البيت لأنه يحس أن أباه ينافسه في حب أمه ، فالطفل يبقى متعلقا بأمه ومشحونا بالنوايا العدوانية اللاواعية تجاه أبيه و هذه الأخيرة تجعل الطفل خائفا من انتقام الأب

[١٢] محمد سلامة محمد غباري ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفون ودور الخدمة الاجتماعية ، ط1 ،الإسكندرية 1998 ، ص55

، وهكذا يتكون لديه الأنا الأعلى على صورة أبيه المتمثلة في العنف و الانتقام بينما يفترض أن يكون هذا الأنا الأعلى في الحالات السوية يتميز بالرأفة و التشجيعو العنف على شكل مشاعر ذنب تحتاج إلى عقاب.

أما ميلاني كلاين تختلف عن فرويد في نشأة " الأنا الهمجي " بينما يرده فرويد إلى عقدة " أوديب " أو عقدة الذنب " مابين السنة الثانية و النصف إلى الخامسة أو السادسة من

العمر ، ترى ميلاني كلاين أن الأنا الأعلى سابق لعقدة أوديب ، ويتكون في السنة الأولى

من حياة الطفل ، وترجعه إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجربة الرضاعة ، إذا كانت هذه العلاقة و مارافقها من علاقة سارة ومطمئنة ومشبعة للطفل تكونت له صورة

إيجابية عن الأم ، وهذا ما تطلق عليه ميلاني كلاين اسم صورة " الأم الصالحة الجيدة"

أما إذا كانت التجربة مؤلمة أو محبطة ولم يحصل الطفل خلالها على الارتياح

و الطمأنينة فتتكون لديه صورة سلبية عن الأم، وهو ما يطلق عليه اسم " الأم السيئة "

وصورة الأم هذه سواء كانت سلبية أو جيدة ، تشكل النواة الأولى لكل صورة تليها ويكونها الطفل تجاه الآخرين ، وعن العالم من جهة أخرى ، ويتم ذلك من خلال أولية أو ميكانيزم الإجتياف و بالتالي ينشأ أنا أعلى ودودا و رفيعا[١٣]

أما صورة الأم السيئة ، فتؤدي إلى تكوين قيمة سلبية عن الذات وإلى تكوين أنا

أعلى همجي عنيف يمارس بطشه على الطفل ، هذا لا يمنع من أن يظهر لديه صورة سلبية حتى مع الأم الجيدة من خلال العنف الفمي المعبر عنه بالعض و الابتلاع وتملك

الثدي ، وهذه الصورة الداخلية سيقطها على الخارج في خطوة ثانية مع أشخاص آخرين

هذه الصفة السادية ، وهكذا يصبح الطفل تحت وطأة الخوف متلقي هجمات من الموضوعات الخارجية ، ومن أناه الأعلى ذات قصوى لا تتصور يدفع به ذلك الهجوم

بدوره إليها و الميل إلى تدميرها ، وهذه التصورات كلها يحاول من خلالها إسكات صورة

[١٣] مصطفى حجازي ، تأهيل الطفولة غير المتكيفة – الأحداث الجانحون - ، ط1 ، دار القلم اللبناني ، بيروت ، 1995 ، ص١٧

الأنا الأعلى.
أما الفرد يرجع الهروب من البيت إلى عقدة النقص رغبة في إثبات وجوده ضد السلطة التعسفية للأب، وكأن الهروب يمكن أن يؤكد صفة أخرى كالاعتراض على
النظام التربوي قد يتطور مع قطعه للدراسة.
عموما يمكن تلخيص أهم العوامل النفسية التي تساعد الطفل على اقتراف السلوك غير السوي و المنحرف كالهروب من البيت والتشرد و السرقة والإدمان و الكبت ، الصراع
.الشعور بالدونية للذات[١٤]

١-٢-١-الكبت

هو تلك العقبات التي تقف في سبيل إشباع رغبات الطفل الغريزية و هي تنشأ عن عدم إمكانية تحقيق الرغبات في العالم الواقعي ، إما لأن الوالدين يحولان دون تحقيقها .أو لأن الأنا الأعلى يقر بهذا الإشباع[١٥]

فكل هذه المكبوتات التي لا يمكن للفرد " الطفل " تحقيقها تولد لديه نوعا من الصراع النفسي ، وتمارس عليه العديد من الضغوطات التي يسعى جاهدا للتخلص منها بشتى الطرق والوسائل السوية واللاسوية ، مما ينتهي به للوقوع في دائرة الانحراف و التشرد أثناء تواجده في الشارع. حين رأى أن الرغبة المكبوتة قد يستبعدها الفرد عن " Freud " وهذا ما أكده فرويد
.طريق نشاط بديل ممنوع أو محرم[١٦]

١-٢-٢-الصراع

و يقصد به ذلك التناقض الداخلي للفرد نتيجة اصطدام ميوله وقدراته الطبيعية مع الحقائق الاجتماعية ، و هذا الصراع يتعرض له الطفل نتيجة لتقمصه بعض عناصر العالم الخارجي في شخصه و جسده ،ويسقط رغبات ملحة داخلية غير مرغوب فيها خارجيا ، مما يؤدي به إلى تصور الأشياء حسب رغباته ، وليس حسب الحقائق الموضوعية ، فيكون الطفل شديد الحساسية و سريع الانفعال ، أو يتصف بالمزاج المضطرب وقصور في تكيفه الوجداني فيعتريه خوف وقلق وألم نفسي شديد.

---

[١٤] رزق سند إبراهيم ليلة ، علم النفس الجنائي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1990 ، ص24

[١٥] محمد طلعت عيسى وآخرون، الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين ، المرجع السابق ، ص175

[١٦] عبد الرحمان عيسوي، سيكولوجية الجنوح، منشأة المعارف ، الإسكندرية، د.ت، دون سنة ، ص٤٧

كل هذه الإختلالات والاضطرابات النفسية التي يعاني منها الطفل ، تؤثر على شخصيته و تحول دون تكيفه مع كل ما هو سائد في المجتمع ، الأمر الذي يدفعه إلى ممارسة بعض السلوكات اللاسوية كالعنف و التشرد و الانحراف و غيرها.

1-2-3الشعور بالدونية

هو إحساس الطفل أنه شخص متميز بصفات تختلف عن صفات أنداده ، و بالتالي يعبر عن دونيته بالعزلة والانطواء ، فيتجه للتغير في حياته[١٧] ، و قد يكون هذا الاتجاه نحو التغير سويا أو مخالفا ومنافيا لما هو سائد في المجتمع ، كالعدوان و العنف والتشرد والانحراف والجنوح و غيرها.

عموما إن هذه الصفات النفسية في تداخلها تشكل نوعا من التوتر الداخلي لدى الطفل، لتكون بذلك دافعا أوليا لسلوكه غير السوي. ومن هنا يتضح أن العوامل الشخصية " الجسدية و النفسية " تؤدي إلى ظاهرة أطفال الشوارع و لكنها تبقى غير كافية وحدها ، هذا ما يدفعنا إلى البحث عن عوامل أخرى ، ومنها العوامل المجتمعية ، يرى " كلبرت " أن العوامل المباشرة في السلوك الاجتماعي المرضي هي عوامل شخصية ومجتمعية في طبيعتها [١٨].

2-العوامل المجتمعية

يقصد بها مجموعة الظروف المحيطة بشخص الطفل وتشمل عوامل مجتمعية داخلية تتمثل في صورة الأسرة ، و عوامل مجتمعية خارجية تتمثل في مسؤولية الشارع و المدرسة وغيرها بكل ما فيها من صحبة وعلاقات و التي سنتناولها فيمايلي:

٢-١-العوامل الأسرية الداخلية

يقصد بها كل ما يحيط بالطفل داخل الأسرة، ونعني هنا الأسرة الطبيعية التي يعيش فيها الطفل باعتبارها ملتزمة بحمايته حتى الرشد ، و تبرز فيها العديد من العلاقات التي تضم علاقة الآباء ببعضهم ، كما أن الفساد والإباحية" المستوى القيمي والخلقي السائد في الأسرة " له أثر كبير في تغيير سلوك الطفل. لا تخلو حياة الأسرة من الخلافات بين الحين والأخر ، وهذه الخلافات لا تعتبر جرثومة تعرض الأسر للخطر مادامت لا تنعكس على العلاقات داخل الأسرة و لا تتناول دعائم التوافق الأسري ، فأثار هذه الخلافات لاتصل إلى جوهر الروابط الزوجية ، لأنها تتناول أمور سطحية في حياة الأسرة ، أما الخلافات الهدامة فهي التي تتناول معايير وقيم يرسمها كلا الزوجين ، كالخلافات العقائدية و الدينية الناشئة من تفاوت المستوى الطبقي.

---

[١٧] محمد طلعت عيسى وآخرون،الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين، المرجع السابق ، ص١٣١-١٣٢

[١٨] محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الإنحرافي، دار المعرفة الجامعية ، دون بلد، 1987 ، ص52

والاجتماعي، أو الصفات الشخصية المتوازنة[١٩] وعليه فاستمرار هذه الحياة الزوجية المضطربة تؤثر بالضرورة على سلوك الطفل وتندرج هذه الاضطرابات الأسرية في الصور التالية:

-تنازع الولاء للأسرة ككل و اضطرار الطفل إزاء هذه الضغوط الانفعالية التي يعاينها نتيجة للتوتر العنيف بين الزوجين إلى اللجوء نحو الشارع هربا من الجو الأسري.

-خيبة أمل الطفل في مصدر السلطة وهو " الأب "ومظهر العطف و هي " الأم" تدفعه للانتماء إلى العصابات، أين يجد الإشباع العاطفي الذي يفقده داخل أسرته في الشارع.

-أظهرت الدراسات أن نسبة كبيرة من حالات الهروب و التشرد في الشوارع توجد بين الأطفال من الأسر المضطربة، أو المحطمة بالطلاق أو الهجرة أو وفاة.

تشير علاقات الآباء بالأبناء إلى الأساليب التربوية التي يعتمدها الآباء في تكوين أبنائهم عقليا و اجتماعيا. كما يقصد بها المعاملة التي يتلقاها الطفل كشخص لوحده أو مع إخوته من قبل و والديه داخل المحيط الأسري.

إذا تتحدد العلاقة بين الآباء و الأبناء في صورتين :علاقة الطفل مع إخوته بالوالدين وعلاقة الطفل لوحده مع والديه.

فعلاقة الطفل بوالديه وجب أن يكون فيها حب ومودة وعطف وحنان حتى يسير نحو النضج ، ولكن هذه العلاقة قد تأخذ منحنى آخر فيشكل كراهية مكشوفة أو إهمالا كأن تقول الأم بصراحة أنها لا تحب الطفل ، ويبدو ذلك في سرعة غضبها أو شتمه أو حبسه أو تهديده بالطرد أو تركه في الشوارع أو الأزقة ساعات طويلة ، وهذا النبذ قد يرجع لأسباب نفسية أو خلقية خاصة ، كأن يكون الطفل ابنا غير شرعيا ، فيذكرها وجوده بالماضي ، فهذا الإهمال يشعره أنه عبء كبير لا يمكن أن تتحمله الطاقة المادية للأسرة ، وهو شخص غير مرغوب فيه[٢٠] ، ومثل هذا الطفل الفاقد للحنان و الرعاية يلجأ للهروب من البيت كحل مناسب لتعويضه عما فقده ، وبالمقابل فالحماية المسرفة و التدليل المفرط للطفل المتمثل في محاولة الوالدين معاملته معاملة طفولية مهما كبر، ومنعه من الاشتراك في صدقات مع غيره من الرفاق يحد من نضجه العاطفي، ويدفعه إلى الانضمام إلى جماعات أخرى يتمكن من خلالها من تحقيق

[١٩] جعفر على محمد، الأحداث المنحرفون، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشرو التوزيع، المؤسسة الجزائرية، دون سنة.ص٥٩

[٢٠] جعفر على محمد، الأحداث المنحرفون، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر و التوزيع، المؤسسة الجزائرية، دون سنة.ص٥٩

شخصيته و إثبات وجوده[٢١] الأمر الذي قد يعرضه للبقاء في الشارع لمدة طويلة ومن ثم التشرد و الانحراف و غيرها.

أما علاقة الطفل مع إخوته بوالديه يجب أن تتسم بالعدالة والعناية والعطف فالتجارب دلت أن حرمان الأبناء من الإمكانيات الضرورية اللازمة معنويا وماديا يترك أثارا واضحة فيهم ، خاصة من ناحية المشكلات الانفعالية [٢٢] التي لها تأثير على سلوك الطفل وأساليب الوالدين السلبية تبرز في أكثر من الصور التالية:

-الإفراط في رعاية الأطفال والاهتمام الزائد بهم.

-صرامة الوالدين وميلهم للاستبداد تجاه الأبناء.

-اتجاهات الوالدين المتضاربة.

-دفع الطفل للتسول و الأعمال المتطفلة.

وأمام هذا فالأبناء يحاولون مواجهة تلك التربية أو تقبلها، فإذا كان يسودهم نوعا من التلاحم تأقلموا معه والعكس صحيح، بمعنى أنه كما يؤثر الآباء في شخصية الأبناء فالأبناء كذلك يؤثرون في مواقف بعضهم البعض ،وهذا التأثير مرتبط بنوع الإخوة .وعددهم و التفاعل بينهم وتربيتهم في الأسرة[٢٣]

و الطفل الذي قد نما وسط إخوته يدرك ذاته ، ويجد حوله جملة من العلاقات الاجتماعية ، أما الطفل الوحيد فيكون عاجزا عن المشاركة و ضعيفا وهذا قد يعرضه إلى عدة مشاكل[٢٤] نفسية انفعالية و علائقية اجتماعية.

في دراسة " Bruner " وبرونر " healy " وتجدر الإشارة هنا إلى أعمال كل من هيلي لهما أجراها على 4000 حالة في إنجلترا ، التي أثبتت أن % 40 منهم جاءوا من أسر .ينعدم فيها التقويم[٢٥].

إن هذه الدراسة تؤكد بموضوعية كيف أن التربية السلبية المنتجة من قبل الوالدين تؤثر بصورة مباشرة في تشرد الأطفال في الشوارع وجنوحهم و انحرافهم، كما تؤكد

---

[٢١] خيري خليل الجميلي، السلوك الانحرافي في أطار التخلف والتقدم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ، 1988 ، ص243

[٢٢] صبري جرجس الصحة العقلية للطفل، محاضرات نفسية ،ص ٢٤٣

[٢٣] فؤادالبهدي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة للشيخوخة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975 ص ٣١

[٢٤] عدنان الدوري ،أسباب الجريمة و طبيعة السلوك الإجرامي،منشورات ذات السلال،ط 3، 1983،ص299

[٢٥] محمود حسن، الخدمة الاجتماعية و رعاية الأحداث المنحرفين، المكتب التجاري الحديث، 1977، ص39

أن معاملة الطفل بحزم زائد قد تولد لديه رغبة في " Burt " أن أعمال قام بها الانتقام و ردودا أفعال غير سوية ، ومن ناحية أخرى فالتساهل الزائد ينمي عنده شخصية ضعيفة غير قادرة على مواجهة الصعاب التي تصادفه و عليه فالعلاقات السيئة. داخل الأسرة بكل أشكالها تؤثر مباشرة في إكساب الطفل السلوكات غير السوية التي تدفعه إلى الشارع.

كما أن الفساد والإباحية داخل الأسرة لقي اهتمام الباحثين ، فقد يحدث أحيانا أن ينشأ الطفل في أسرة تختلف فيها القيم ، خاصة التي يعتنقها الوالدين اختلافا كبيرا عن القيم السائدة في المجتمع ككل ، أين تكون قيم هذه الأسرة في ذاتها لا تتماشى مع المجتمع وفي هذه الحالة وعلى الرغم من النمو السليم للطفل من كل النواحي ، نجده يتمثل هذه القيم" العدالة ، الأخلاق "لتصبح جزءا من ذاته.

.ومن صور الإباحية في الأسرة التي تساعد الطفل على التواجد في الشارع[٢٦]

-عدم احترام العادات و التقاليد المتعارف عليها.

-عدم تأدية الشعائر الدينية وما تتطلبه من فرائض.

-الاستيلاء على حقوق الآخرين.

-محاولة تقليد ومسايرة نماذج من الحياة في المجتمعات التي تختلف عن المجتمع الذي يعيش فيه.

فانحراف الأب أو فساده كأن يكون مجرما أو سارقا أو سكيرا مقامرا ، وكل ما تعلق بمظاهر الانهيار الخلقي ، فهذه كلها عيوب في شخصية الأب ، تجعل من تربية الأولاد غير سليمة والأمر نفسه بالنسبة للأم ، كأن تكون خليعة ، أو مستهترة ، ويظهر أثر ذلك خاصة على البنات ، لأنهن لاسيما في سن المراهقة أكثر التصاقا بأمهاتهن وأكثر رغبة في تقليدهن.

ومن مجمل الدراسات و الأبحاث يتبين أن تصدع الأسرة ذو تأثير كبير على شخصية الطفل في سلوكه وتصرفه، فالأسرة تعمل كوحدة ترعى وترشد الأطفال من جهة بأساليبها السليمة، ومن جهة أخرى تكون سببا في عدم تكليفهم الاجتماعي.

2-2-العوامل المجتمعية " الخارجية"

وتتمثل في كل ما محيط بالطفل خارج نطاق الأسرة و التي نذكر منها المدرسة و الشارع، حيث أن كل منهما يساهم في دفع الطفل إلى اتخاذ الشارع كوسيلة للهروب من واقعه.

---

[٢٦] أنور محمد الشرقاوي،انحراف الأحداث،المكتبة الانجلومصرية،مكتبة الخدمة الاجتماعية،الإسكندرية، 1998 ،ص112

٢-٢-١مسؤولية المدرسة

تعتبر المدرسة مؤسسة تربوية اجتماعية، أقامها المجتمع ليساند بها النظام الأسري في أداء الوظائف التعليمية والتربوية ، فالأسرة بمفردها لم تعد قادرة على القيام بذلك في مجتمعنا المعاصر [٢٧]، و لكن قد لا يروق لبعض الأطفال التواجد في مؤسسة المدرسة حيث لا يكتفون مع زملائهم فيها ، مما يدفع بهم إلى الهروب منها فمنهم من يترك مقاعد الدراسة باكرا لهذا السبب أو ذاك ، ومن الأسباب التي قد تدفع بالأطفال لترك المدرسة كليا أو جزئيا الصحبة داخل المدرسة.

إن الطفل قبل دخوله المدرسة تكون له جماعة من الرفاق ضعيفة التأثير في سلوكه قياسا بجماعة الرفاق داخل المدرسة ، فالدراسات أكدت أن الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة يتعلمون الصداقات مع أفراد جنسهم أكثر مما ينشؤونها بين أفراد الجنس الأخر أما داخل الفصل فقد يكون التقارب في العمر و الحالة الاجتماعية و النشاط البدني و الميول و المستوى الثقافي ...كلها عوامل مساعدة على بناء علاقات صداقة بين الأطفال [٢٨] ، وفي مجتمع المدرسة يجد الصغير نفسه يتلقى نماذج عديدة متآلفة أو متنافرة ولابد أن يختار بعضا منها إما بدافع التقليد أو انسياقا في تيار الجماعة ، ولكن قد يكون التلميذ محل سخرية من زملائه ، إما بسبب فقره أو ملبسه ، أو شذوذ طوله أو قصره .فيأتي بتصرفات شاذة ، خاصة إذا لم يكن لديه ثقة بنفسه لشعوره بالدونية [٢٩]

و في هذه الحالة غالبا ما يضطر الطفل للتخلي عن الدراسة ، حتى لو كان متفوقا على زملائه ، فهذه الظروف القاسية قد تمنعه أحيانا من تحقيق طموحاته ، وبالتالي يجد نفسه في الشارع يمضي أغلب وقته في التسكع ، وهذا ما يجعله صيدا سهلا للجماعات المحلية المنحرفة ، كما قد يلجأ الأطفال إلى تكوين عصابات داخل المدرسة ، بحيث يغدو تجمعهم في شكل عصابات صغيرة حافزا لمخالفة القوانين ، و تبدو تصرفاتهم غير المشروعة بصور وأشكال مختلفة كالهروب المعتاد ، والغياب المتكرر ، ومخالفة النظام وكل الأفعال التي تثير الفوضى و الاشمئزاز ، وبالطبع فإن هذه الأفعال المنحرفة سيكون لها تأثيرا كبيرا على زملائهم ، بحيث تحاول بكل الطرق ضمهم إلى جماعتها.

---

[٢٧] .خيري خليل الجميلي،السلوك الإنحرافي في إطار التخلف و التقدم،المرجع السابق،ص٢٥٣-٢٥٤

[٢٨] عدنان الدوري،أسباب الجريمة و طبيعة السلوك الإجرامي،المرجع السابق،ص ٣٣١-٣٣٢

[٢٩] على محمد جعفر، الأحداث المنحرفون، المرجع السابق، ص74

كما أن اعتياد هذه الجماعة على الهروب من المدرسة ،وعدم استقرارهم فيها دون أية رقابة من الأولياء يجعل من السهل عليهم التخلي نهائيا عن الدراسة ، وبالتالي يكون التشرد و الانحراف هو مصيرها ، ولكن الصحبة السيئة لا تعتبر وحدها المسؤولة عن هروب الطفل منها ، وإنما قد يكون النظام الصارم المتبع فيها يزيد من نفور الطفل من الدراسة و قيودها ، و تفضيله التسكع في الشوارع و ذلك لإحساسه بالحرية أكثر.

إن الطفل لأول مرة يجد سلطة وجماعة خارج نطاق أسرته ، ويجب عليه أن يتقبل هذه السلطة التي تتضمن علاقات متعددة مع الآخرين ، وعدم التكيف مع البيئة المدرسية ينمي لدى الطفل الشعور بالنقص والخيبة ،وحتى تستطيع المدرسة القيام بدورها التثقيفي و التربوي لابد من أن تفرض النظام والقواعد التي تهيأ لها النجاح في مهمتها ، فإذا ما فرضت أسلوبا صارما لا يتفق والحد الطبيعي للأمور ، فإن ذلك يؤدي بالتلاميذ إلى الهروب منها ترك المدرسة نهائيا.

إن الجو المدرسي الذي لا يتوفر فيه للتلميذ قسطا من الحرية و الشعور بالمسؤولية و لا يجد لنفسه مكانا ينمو فيه ، ويتفق وطبيعة حاجات المجتمع الدراسي ، هذا الجو يصاب فيه التلميذ بالإحساس بالإخفاق و القلق و القصور و النزوع لبعض الأعمال غير الاجتماعية لإثبات ذاته و التعويض عن قصوره.

فداخل المدرسة يجب إيجاد التوازن بين الحرية المعطاة في ضوء المنطق المعقول وبين النظام الصارم والشدة في الأحكام ، وفي حالة العكس قد يؤدي ذلك إلى الإخفاق و الفشل الدراسي ، وأن خطوة الفشل المتكرر تكمن في جعل التلميذ الفاشل يهجر المدرسة مما يساعد على تشرده إذا توفرت عوامل أخرى غالبا ما تكون قائمة في الشارع. و قد يرجع الفشل الدراسي داخل المدرسة بسبب نظامها إلى:

-إهمال نشطة الرياضية والرحلات، وغيرها من الأوجه التعليمية الأخرى الهادفة لتحقيق مجتمع طلابي متماسك.

-تعارض ثقافة المدرسة مع ثقافة البيت مما يجعلها في اصطدام، وإذا كانت ثقافة البيت قوية فإنها قد تصل إلى سلب المدرسة دورها في تغيير ثقافة المنزل.

وإزاء فشل المدرسة بوجه عام في أداء رسالتها في تنمية الدوافع الاجتماعية للتلميذ فإن موقف هذا الأخير يتخذ أحد المواقف التالية:

- **إما موقف انعزالي :**ينطوي فيه التلميذ عن نفسه فلا يشارك في حياة المدرسة.
- **وإما موقف عدائي :**قد يتسم بالإيجابية في نشاطه ، ولكنه يوجه وجهة تخريبية.
- **وإما موقف هروبي :**وفيه تصبح المدرسة مركزا للطرد وليست للجذب، بحيث يميل التلميذ للتغيب عنها بأسباب مرضية، أو بالهروب، و أحيانا الانقطاع عنها، وعدم الرغبةفي العودة إليها.

وعموما يمكن القول أن المدرسة بنظامها و إدارتها وتلاميذها ، وحتى هيكلها و الحي الذي توجد فيه يلعبون جميعا دورا أهم مما نتوقع في تربية وإكساب السلوك السوي عند الأطفال ، و لكنها من ناحية أخرى تكون عامل طرد للتلاميذ الذين لا يستطعون التكيف فيها ، و أمام هذا الوضع كثير ما يلجأون إلى الشارع لقضاء أوقات كبيرة فيه.

2-2-2-مسؤولية الشارع

يعتبر الشارع مكان لقضاء وقت الفراغ خارج البيت و المدرسة .ويعتبر أيضا تربة صالحة لاكتساب عادات سيئة بواسطة رفاق السوء .لأن الطفل فيه لا يخضع لأية رقابة أسرية أو مدرسية . ووجود الطفل بين جماعة الأصدقاء يحدث تأثيرا متبادلا . فكل واحد منهم يؤثر في شخصية الأخر لدرجات متفاوتة حسب مقدرة كل منهم في الإقناع و قوة الشخصية فإذا ساءت الجماعة انعكس ذلك على سلوك الطفل وعلى سلوك من يتأثرون بهم باعتبار أن رفاق الشارع أكثر تأثيرا على سلوك الطفل أثناء تفاعله معهم.

ولعل أكثر ما يجذب الطفل هو أن إقامته علاقات مع رفاق الشارع هو اتساع مجال حريتهم من خلال قيامهم بتصرفات لتحقيق مآربهم الشخصية دون تفكير ، وكذلك في الجماعة يستطيع الطفل التعبير عن كراهيته للأسرة أو المدرسة ،وهذا يتجسد بطريقة لاشعورية ، و اعتماده العنف و التغلب على النقص . وعليه فإن مثل هذه السلوكات غير السوية من قبل الطفل ستؤدي به حتما إلى التشرد ومنه إلى الانحراف.

وعموما فالعوامل المجتمعة بكل ما فيها من عوامل داخلية للأسرة وخارجية كالمدرسة والشارع، لها دور هام في بروز ظاهرة أطفال الشوارع.

لكن هل يمكن أن تكون العوامل الشخصية و المجتمعية كافية لتفاقم هذه الظاهرة ؟

في هذا السياق يرى بعض العلماء أن هناك عوامل تتعلق بالمستوى المعيشي و الشروط المادية للطفل قد تهيئه إلى أن يكون في الشارع، و هذا ما سنتعرض له بالتحليل فيما سيأتي من عوامل اقتصادية.

3-العوامل الاقتصادية

يقصد بها مجموعة الظروف المحيطة بالأسرة والشروط المادية التي تعتبر مسؤولة لحد كبير في جعل الأطفال غير متكيفين في بيئتهم الطبيعية ، وقد تطرقنا إلى شرطين أساسين هما : المستوى المعيشي والمستوى المادي للأسرة.

3-1-المستوى المعيشي

و نعني به انخفاض مستوى معيشة أسرة الطفل كالفقر والحرمان من الإشباعات الضرورية و الأساسية التي تحقق نموا سليما للأطفال ورضا نفسي . فقد أثبتت بحوث متعددة مدى تأثير ذلك على سلوك الطفل . إذ يتخذ الطفل السرقة كوسيلة مشروعة من وجهة نظره لإشباع رغباته التي لم تستطع الأسرة توفيرها له ، أو يلجأ للعمل كوسيلة

للحصول على المال الذي يحقق له رغباته [٣٠] بمعنى أن عجز رب الأسرة على القيام بمسؤولياته أو التخلي عنها نهائيا بالهروب مثلا ، يدفع أبنائه الأطفال للتحرر في ظل غياب سلطته وتحمل مسؤولياتهم لوحدهم باللجوء إلى التسول مثلا أو العمل . و هذا يحتم عليهم قضاء ساعات طويلة خارج البيت و البقاء معظم الوقت في الشوارع مما يعرضهم للتشرد.

3-2-الشروط المادية

ونقصد بها المكان الذي يقيم فيه الطفل مع أسرته ، وغالبا ما يكون السكن غير صالح صحيا وكذلك يتسم بالضيق ، مما يؤثر على الطفل باعتبار أن السكن المزدحم يؤدي للاحتكاك المستمر والصراع و الخلاف بين أفراد الأسرة ، كما أنه يحرم الوالدين من فرص مناقشة سلوك الأطفال ومشاكلهم . فيشعر الأطفال بعدم الأمن في تلك البيئة .غير المشبعة لحاجاتهم النفسية و المادية ما يؤدي بهم إلى مغادرة المنزل [٣١] ففي تقرير مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث بالقاهرة في 1 جانفي1955 م إلى آخر جوان 1956 م جاء مايلي ": إن الغالبية العظمى من أسر هؤلاء الأحداث ومنهم المتشردين يقطنون في أحياء شعبية مزدحمة بالسكان. وأغلبها بيئات فقيرة تكثر فيها الصبية المتشردين .وتتخللها أوكار الفساد وأكثر مساكنها لا تصلح للسكن بأي حال من الأحوال .فالتهوئة سيئة و الغرف مظلمة . كل هذه المظاهر قد تدفع الطفل إلى النفور .ومنها بالتالي الهروب والتشرد [٣٢]"

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التحضر قد يكون مؤثرا في مشكلة التشرد حيث تتوفر ظروف العمل المادية والمعنوية الملائمة لتشغيل الأطفال ، فالآثار الاجتماعية الناتجة عن التصنيع تتجه نحو السلوكات غير السوية فيها ، حيث أظهرت الدراسة المعدة من قبل الأمانة العامة للأمم المتحدة عام 1955 للوقاية من جنوح الأحداث ، وكذا تشردهم مايلي يبدو أن الزيادة في حجم مشاكل الأحداث والتزايد في تشردهم أكثر تواجدا في البلاد التي بلغت حدا كبيرا من النمو . وهذا دليل على أنه كلما ارتفع النمو الديموغرافي للسكان في بلد ما . انعكس ذلك سلبا على سلوك أفراده . "وجاء في تقرير آخر لها أنه ينبغي أن لا نغفل أثار هذه الظواهر على من يعيش في المناطق الريفية من الشباب ، ففي بعض المناطق يترك الشبان موطنهم في الريف عندما

---

[٣٠] إقبال محمد بشير و سلمى محمود جمعة، الخدمة الاجتماعية و رعاية الأسرة و الطفولة،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،دون سنة،ص130

[٣١] محمد مصطفى احمد، تطبيقات في مجال الخدمة الاجتماعية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، دون سنة، ص

[٣٢] محمد طلعت عيسى ،و آخرون، الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين، المرجع السابق،ص501

يسمعون عن الحياة في المدن الصغيرة أو الكبيرة للبحث عن العمل ، و المخاطرة في المناطق الحضارية مما يؤدي انتقالهم من .بيئتهم الطبيعية إلى أخرى عدم تكيفهم مع الحياة الجديدة وبالتالي تشردهم مما سبق يتضح أن الشروط المادية و انخفاض مستوى المعيشة للأسرة يؤثران بصفة مباشرة على حياة و شخصية الطفل نظرا لعدم قدرته على التكيف مع مثل هذه الظروف ومواجهتها مما يدفعه ذلك إلى تشرد.

رابعا: سمات أطفال الشوارع

:يتصف أطفال الشوارع بجملة من السمات التي تميزهم ونذكر منها[٣٣]

1-حب التملك و المساواة مع الآخرين

طفل الشارع محب جدا للتملك، ومتطلع إلى المساواة مع أطفال الشارع الآخرين الأكبر منه سنا.

٢- الشغب و العناد والميول العدوانية

معظم أطفال الشوارع لديهم نوع من العدوانية ، وهذا يأتي نتيجة الإحباط النفسي الذي أصابهم ، نتيجة موقف أسرته معه ، وفقدانه حب الأسرة له ، وهذا الميل إلى العدوانية يزداد نتيجة بيئة الشارع أيضا و التي دائما في عدوان مستمر عليهم ، ومع مرور عدة شهور على بقائهم في الشارع ، يتحولون هم أنفسهم إلى العدوان على الأطفال في الشارع ، حيث تفرض عليهم حرب البقاء للأقوى ، و يعرض عليهم العنف و يتعلمون أسلوب الرد الدفاعي المضاد لأي اعتداء عليهم ، وهم مع الوقت يتعلمون بالخبرة أن العنف هو لغة الحياة في الشارع، وتبرز الميول العدوانية بين أطفال الشارع بعضهم البعض.

3-الانفعال الشديد للطفل والغيرة الشديدة

فالحياة في نظر الطفل لعب وأخذ، وهما الشيئان اللذان فشل في الحصول عليهما من أسرته التي افتقدها.

4-حب اللعب الجماعي

5-حب ألعاب الحركة و القوة.

6-التمثيل

أطفال الشوارع تعودوا على التمثيل ، فهو من جهة أحد و سائلهم الدفاعية ضد أي أخطار يواجهونها ، أوحين يقبض عليهم ، و من جهة أخرى يتهمون أقرانهم بسلوك أو فعل أشياء معينة لم يفعلها هؤلاء الأطفال ، إنه أسلوب التمثيل المحبب لهم ، كنوع من اللعب فيما بينهم ، وقد يجلب الضرب لأحدهم ، ولكن بغرض خلق جو من الضحك الجماعي الذي يستمتعون به جدا.

---

[٣٣] محمد سيد فهمي، أطفال الشوارع،ط 1 ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2000 ،ص٦٩

7-التشتت العاطفي

هناك نماذج من الأطفال كثيرو البكاء، طلباتهم كثيرة ومحددة جدا، وهناك نماذج أخرى من أطفال الشوارع سلوكهم شاذ عن الجماعة في أي برنامج يتفقون عليه، هذا بالإضافة إلى أن أطفال الشوارع متقلبون بشكل عام نفسيا و اجتماعيا.

8-عدم التركيز

مستوى أطفال الشوارع الدراسي ضعيف جدا، فمنهم من لم يلتحق بالتعليم ومنهم من تسرب من الدراسة مبكرا، وهم لا يستطيعون التركيز في أي حديث قد يكون طويلا، وستجدهم في هذه الحالة كثيري الحركة، بسبب التشتت الذهني وعدم القدرة على التركيز.

9-طفل الشارع ليس لديه مبدأ الصح و الخطأ

طفل الشارع بهروبه من المنزل حطم نسبيا الضبط الخارجي عليه والمتمثل في رب الأسرة و الذي كان يوجهه ، كما يفقد أيضا الضبط الداخلي الذي يتولد لديه من الخبرة الذاتية ، فوجوده في الشارع طوال اليوم و أحيانا أياما متتالية يفقده أي نوع من أنواع الضبط ،ويصبح هائما على وجهه يسير حسب الظروف التي يفرضها عليه الشارع[٣٤]،

ويبدأ الطفل يشكل نفسه حسب الموقف وحسب احتياجاته العضوية الملحة من جوع وعطش ونوم ، لذلك فهو لا يستمع إلى النصائح المباشرة أو غير المباشرة. يفضل طفل الشارع أن يكون له اسم شهرة، فاسم الشهرة عادة ما يجسد أهم المميزات التي يتسم بها الطفل في معاملاته في الشارع بالإضافة إلى أنه يفيد الطفل في التعامل مع زملائه في لحظات الخطر و الهروب من الشرطة مثلا.

10-اتسامهم بالقيم المتناقصة

فعادة ما يحمل هؤلاء الأطفال قيما متناقضة فهناك من يغلب عليه المرح ، وأحيانا العنف وهناك من يغلب عليه قيمة الكذب و الغموض ، أو قيمة العينية[٣٥] و الخصوصية أوقيمة المنفعة و اللذة ، وكلها قيم تتشكل ضمن عملية معقدة و صعبة ، يتم اكتسابها من خلال مواقف حياتية يومية تحفها المخاطر وكل أنواع الاستغلال.

سادسا :المخاطر التي يتعرض لها أطفال الشوارع

ظاهرة أطفال الشوارع خطيرة وتترك أثارا على شخص الطفل و المجتمع، إن إبقاء الطفل بعيدا عن أسرته وخروجه للشارع يعرضه لعواقب وخيمة تتمثل في :

---

[٣٤] غباري محمد سلامة محمد، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية ط1 ، الإسكندرية،1998 ص٥٥

[٣٥] عدنان الدوري ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي ط 3 ، منشورات ذات السلاسل الكويت ١٩٨٣

1-التسرب وعدم الالتحاق بالتعليم

مما لاشك فيه أن من أكثر الآثار وضوحا التي تقع على هؤلاء الأطفال باختلاف أنماطهم هي حصرهم في مجال الأمية أو التعليم المنخفض ، إذ عادة ما يفتقد هؤلاء الأطفال الرعاية الأسرية المشجعة للاستمرار في التعليم ، وبذلك يحكم عليهم بالحرمان في حقهم الأساسي في التعليم و الرقي في المستوى الاجتماعي و الاقتصادي على المدى البعيد.

2-الفقر و المكانة المهنية المنخفضة

غالبا ما ينتمي هؤلاء إلى أسر ذات الفئة الاقتصادية المهنية المنخفضة ، حيث عادة ما يورثون الفقر و المهنة التي نشأو عليها في أسرهم، وبذلك يصبح مجالهم في الترقي الاقتصادي و الاجتماعي ضعيف، وينحصر طموحهم بالتالي في حدود متدنية.

3-الإصابة بالأمراض العضوية و النفسية

أطفال الشوارع يتعرضون للعديد من الأمراض مما يجعلهم يعيشون في آلام مستمرة دون علاج حتى يصلوا إلى الموت ...و تتلخص هذه الأمراض في الأتي:

-**التسمم الغذائي** يحدث نتيجة تناول أطعمة فاسدة انتهت مدة صلاحيتها، ويجمعها هؤلاء الأطفال من صناديق القمامة.

-**الجرب** يصيب معظم أطفال الشوارع لعدم استحمامهم، وتواجدهم في أماكن قذرة بها العديد من المواد الملوثة.

-**التيفويد** يحدث نتيجة تناول خضروات غير نظيفة يجمعها الأطفال أو يحصلون عليها من القمامة.

-**الأنيميا** عادة ما يأكل هؤلاء الأطفال وجبات غير كاملة وتفتقر إلى الفيتامينات و البروتينات...

-**السعال المستمر وتعب الصدر** نظرا لعدم توفر ملبس أو أغطية كافية أثناء البردأو لتدخينهم السجائر.

-**تقيحات الجروح** كثيرا ما يتعرض أطفال الشوارع إلى الإصابة بالجروح نتيجة القفز من الأماكن المرتفعة كالأسوار من أجل السرقة أو الهروب من الشرطة، أو أثناء جمعهم للحديد وبقايا القمامة لإعادة بيعها. عادة يكون طفل الشارع نحيفا و ضعيف البصير و يعاني العديد من الأمراض والاضطرابات النفسية.

4-مخاطر الطريق

يتعرض هؤلاء الأطفال إلى حوادث الطرقات مستمرة مما يتسبب لهم في إعاقات.

5-الانحرافات الجنسية

أخطر ما يتعرض له أطفال الشوارع هو الاستغلال الجنسي سواء العصابات أو الأفراد المستغلين لضعفهم وصغر سنهم وعدم قدرتهم على مواجهة الإساءة الجنسية.

و أهم الصور التي تأخذها الانحرافات الجنسية[٣٦]

-البغاء :قد تلجأ الفتاة إلى البغاء انتقاما من الرجال ، أو لأنها مجردة من كل شيء وقد تلجأ إلى ذلك أيضا بعد تعرضها لعملية اغتصاب ، وتتبرأ منها الأسرة وتجد نفسها دون مأوى ، وأخيرا تهرب من العقاب و العار.

-الجنسية المثلية :تعتبر جنوح جنسي، فكثير من الشبان يبيعون محاسنهم إلى الراشدين لكسب المال. تؤدي الممارسات الجنسية التي يتعرض لها الأطفال إلى العديد من المخاطر الصحية كالإصابة بنقص المناعة الجنسية المكتسبة"سيدا" والأمراض التناسلية وحالات الحمل غير الشرعي ، كما يستفيد من استخدام هؤلاء الأطفال المجرمون في تجارة الجنس بتنظيم عصابات تستغلهم [٣٧].

6-الجنوح و الجريمة

٦-١-الجنوح

قام كل من " هيلي وبرونر " بتصنيف بواعث الجنوح عند أطفال الشوارع فوجدا أنه إما محاولة لتحقيق إشباع تعويض بديل بارتكاب المغامرات و الشغب ، و إما محاولة لتقوية الأنا التي جرحت ، مشاعر الدونية أو عدم الكفاءة في الانضمام إلى الجماعات المنحرفة [٣٨]، أوبأن يقوم الطفل لوحده بالبرهنة لنفسه على شجاعته وقيمته ، وإما محاولة لتحقيق الإشباع بالانتقام عن وعي أو عن غير وعي ، أو ربما كان محاولة تدفعها رغبة خفية لعقاب الأبوين بإتباع سلوك يؤذيهما، وينغص حياتهما ، وإما محاولة لإرضاء وتضخيم ذاته بإتباع سلوك معاد للمجتمع.

6-الجريمة

:الجريمة تأخذ عدة أشكال منها [٣٩]

-السرقة

تكون السرقة فردية أو جماعية، ونجد أيضا السرقة تحت تأثير سيادة أو تأثير الراشدين وللسرقة معاني حسب ظروف السارق وشخصيته.

-هناك سرقة للتحدي :سواء لإثبات وجوده وقوته أمام الجماعة، ولتحدي الوالدين

---

[٣٦] بدرة معتصم ميموني، الاضطرابات النفسية و العقلية عند الطفل و المراهق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 ،ص259

[٣٧] خروف حميد و آخرون ، النسق القيم و التصورات الاجتماعية،مخبر العلوم .الاجتماعية وقضايا المجتمع، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧ص٨٩

[٣٨] عبد الرحمان عيسوي، التربية النفسية للطفل و المراهق ،ط1 ، دار الراتب الجامعية،بيروت، 2000 ،ص59 -٦٠

[٣٩] 1 .بدرة معتصم ميموني،الاضطرابات النفسية و العقلية عند الطفل و المراهق، المرجع السابق،ص٢٦٠

أو المجتمع، وفي هذه الحالة هو يدرك القوانين و القيم ولكن يتمرد عليها .وتمتاز هذه الشخصية بالعدوانية و العنف ، فهي شخصية سيكوباتية لا تشعر بالذنب.

-وهناك السرقة التعويضية :ناتجة عن الحرمان العاطفي يسرق الطفل أو المراهق لتهدئة القلق ومن الشعور بالوحدة.

-و أخير ا هناك السرقة للحاجة :أطفال الشوارع يعيشون حالة فقر لا تطاق فيسرقون ليقتاتوا وليلبسوا، و يتخلى الشاب عن هذا السلوك عندما يجد عملا.

-القتل

جرائم القتل نادرة عند الأطفال قبل 13 سنة لكنها تكثر عند الفئة مابين- ١٦-٢٠ وترجع أسبابها إلى الانفعال المفرط في حالة غضب شديد. كثير من الأطفال المراهقين يقومون بجرائم قتل ضد زملائهم في الشارع، كي يشعر بكامل السلطة دون أن يراعي النتائج لأن مرحلة المراهقة تمتاز بالتوتر التي يعطي طابع حقيقي للخيال و الأوهام خاصة إذا كان الشاب تحت تأثير أفلام العنف.

-تعاطي المخدرات و الإدمان

تمثل جنوحا موجها نحو الذات ، إن تعاطي المخدرات اضطراب خاص بالمراهقين يستدعي المساعدة و العلاج دون العقاب ، و الشيء المخيف هو أن عدد كبيرمن أطفال الشوارع إن لم نقل كلهم يستخدمون عددا من المحاليل و اللصاق " غراء"و استنشاق دخانها ، وأكل خبز بقي في مدخنة مدة طويلة إضافة إلى الأنواع المعروفةالأخرى من المخدرات التي تحصلون عليها بشتى الطرق.

-التعرض لخبرات قضائية مع القانون

الأطفال الذين تعثر عليهم الشرطة يتم سؤالهم عن هويتهم ومقر سكناهم فإذا كانوا بدون مأوى يتم إرسالهم إلى مراكز الرعاية ، ويحولون إلى قاضي الأحداث للبحث في أمرهم.

-الانتماء إلى عصابات منظمة

ثبت أن أطفال الشوارع يتبعون و ينتمون إلى العصابات المنظمة المتخصصة في التسول، التهريب.

سادسا :الخدمة الاجتماعية و أطفال الشوارع

تعتبر الخدمة الاجتماعية بمعناها الحديث وليدة القرن العشرين، و المتتبع لنشأتها يجد أنها كانت استجابة لظروف اجتماعية ومشكلات إنسانية وتغيرات سريعة صاحبت ذلك.

-أن الخدمة الاجتماعية مع أطفال الشوارع هي مجموعة من الأنشطة المهنية التي يمارسها أخصائيون اجتماعيون معدون لتقديمها في مؤسسات اجتماعية سواء كانت إصلاحية أو عقابية وأن لكل منها أهدافها وسياستها مستخدمة طرقها الأساسية في التعامل

مع هؤلاء الأطفال سواء كانوا أفراد " خدمة الفرد " أو الجماعات " خدمة الجماعة "أو مجتمع وظيفي داخل المؤسسة " تنظيم مجتمع ."تعتمد الممارسة المهنية في هذه المجال على قيم ومعايير أخلاقية ومهنية توجه سلوك الأخصائي الاجتماعي تجاه عملائه وزملائه و المجتمع ، مستندا إلى قاعدة علمية مستمدة من العلوم الاجتماعية الأخرى و الخبرات الميدانية ونتائج البحوث الإمبريقية.

إذا كانت الخدمة الاجتماعية تسعى إلى تحقيق أهداف وقائية وعلاجية وتنموية مع أطفال الشوارع من خلال مساعدتهم على مواجهة المشكلات و استعادة قدراتهم على الأداء الاجتماعي فإن هذه الأهداف العامة تتحقق من خلال مجموعة من الأهداف الفرعية :التي يمكن تحديدها فيما يلي [٤٠]:

-مساعدة الأطفال المحرومين كأفراد وجماعات على مواجهة مشكلاتهم التي تعوق أدائهم لأدوارهم الاجتماعية.

-إحداث التغيير في النظم الاجتماعية التي عجزت عن أداء أدوارها مما انعكس على تفاقم مشكلة أطفال الشوارع.

-غرس القيم و الاجتماعية الإيجابية كالعدل و الأمانة واحترام العمل و الإنجازو الدافعية في نفوس هؤلاء الأطفال.

-مساعدة أطفال الشوارع على تحسين الظروف المحيطة بهم من إيواء وتدريب مهني.

-إتاحة الفرص لهؤلاء الأطفال في التدريب على حرف أو مهن تساعدهم على مواجهة أعباء المعيشة.

-مساعدة المؤسسات الملحق بها أطفال الشوارع على أداء رسالتها بنجاح.

-توفير الأمن والطمأنينة و بث في نفوس هؤلاء الأطفال التوعية و إثارة الرأي العام من خلال وسائل الإعلام حول الأسباب المؤدية إلى هذه المشكلة للحد من خطورتها

- مساعدة أطفال الشوارع في الحصول على الموارد المتاحة داخل المؤسساتالموجودين فيها أو المتاحة بالمجتمع الخارجي.

-القيام بالدراسات و البحوث العلمية التي تتناول ظاهرة أطفال الشوارع من جوانبها المختلفة، و التوصل إلى نتائج علمية و عملية للتعامل معها.

-العمل على زيادة كفاءة و فاعلية المؤسسات التي تتعامل مع أطفال الشوارع سواء كانت إصلاحية أو عقابية.

-المساهمة في إصدار وتعديل التشريعات والقوانين التي تحمي هؤلاء الأطفال و تعديل النظم المؤسسية بهدف تقويم خدمة أفضل لهم.

---

[٤٠] حسن محمود ، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأحداث المنحرفين ، المكتب التجاري١٩٧٧ص٢٥

و تأسيسا على ما سبق، نشير إلى أطفال الشوارع هي ظاهرة اجتماعية ناجمة عن اختلال أداء النظم الاجتماعية ابتداء من الأسرة و ضعف أدائها و عدم تحقيق الإشباعات الأساسية ،فضلا عن الاستغلال و اللامساواة ، و كذا تعقد المشكلات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية،و ضغوط البيئة المحيطة.

و إذا كان أطفال الشوارع هم ضحايا الاستغلال، فإنهم نتاج البيئة التي يتواجدون فيهاو تعبيرا عن الخلل الذي يحكم أنظمتها لهذا تسعى الدول بمختلف توجهاتها إلى سن الكثير من القوانين لحماية الأطفال، و توفير الشروط الملائمة لتنشئتهم و جعلهم أفراد فاعلين و مندمجين في بيئاتهم المتنوعة و المنطوي على انساق و أنظمة متباينة.

خامسا:دور منظمات المجتمع المدني في حماية الأطفال:

تستعمل منظمات المجتمع المدني العديد من الاستراتيجيات لتحديد حاجات و حقوق أطفال الشوارع و يتم ذلك عبر وسائل الإعلام ووكالات الاتصال Advocacy – الدفاع عنهم· بالحكومات و مؤسسات الضغط من اجل احترام حقوق الأطفال ,خاصة أطفال الشوارع. من خلال برامج حماية تقي الطفل من إجباره على اللجوء – Preventiveالوقاية· إلى الشوارع عبر دعم العوائل و المجتمعات الفقيرة و من خلال الوسائل التربوية بعض المنظمات توفر بيئة Rehabilitation Programs - برامج التأهيل معزولة عن الشوارع تركز فيها النشاطات على مساعدة الأطفال و إعادة تأهيلهم خصوصا المدمنين و الذين تعرضوا إلى انتهاكات جسدية و جنسية. الخطوة Full-care Residential Homes – بيوت الإيواء ذات العناية الكاملة ·النهائية في العديد من برامج المؤسسات هي بعد ان يتم إبعاد الأطفال تماما عن الشوارع , إسكانه في بيئة صحية توفرها تلك المنظمات[٤١] بعضها تقوم بإعداد برامج لتبني أو رعاية الأطفال الذين تم تأهيلهم ,أو قد يجمعون أعداد قليلة من هؤلاء الأطفال في بيوت عادية تحت رعاية آباء يعملون موظفين لدى تلك المنظمات, البعض الآخر من المنظمات تهيئ مراكز رعاية كبيرة تضم أعداد كبيرة من الأطفال البعض الآخر من المنظمات توفر برامج متابعة للأطفال الذين يغادرون مؤسسات الإيواء لتوفير الإرشاد لهم وللمتكفلين برعايتهم. تعمل هذه البرامج Street-Based Program - برامج الرعاية في الشوارع· للتخفيف من جوانب الحياة السيئة في الشارع من خلال تقديم الخدمة لهم في الموقع ,تميل هذه البرامج لان تكون اقل كلفة من و تخدم أعداد كبيرة من أطفال الشوارع ,لان الطفل لازال بحاجة لإدامة حياتهم في الشارع و ذلك من خلال برامج تغذية وخدمات صحية و مساعدة القانونية و التعليم في الشارع و برامج لم الشمل والإيواء أليلي,و برامج مصممة لإدامة الاتصال بالمنظمات , و تغيير

[٤١] أحمد محمد مصطفى ، تطبيقات في مجال الخدمة الاجتماعية ، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دون سنة. ص٧٨

اتجاهات الأطفال نحو ظروفهم و تبديل النظرة الى أنفسهم كونهم أقلية ضعيفة مهمشة إلى دعاة إلى تغيير واقعهم بصفتهم متلقين سلبيين للمساعدات [٤٢]. توظف العديد من المنظمات مثل هؤلاء الدعاة و يمرون بالعديد من المراحل قبل تخرجهم من هذا البرنامج ففي البداية يربط الطفل بالبرنامج زيارة مع عيشه في الشارع لاحقا قد من قبل الطفل بإقامة وقتية ثم إقامة دائمة في بيوت الرعاية ,و التي ينفصل فيها تمام عن الشارع.

هناك العديد من المشاريع المعمول بها في دول افريقية و آسيوية و في أميركا اللاتينية اهتمت بدراسة هذه الظاهرة في محاولة لفهم أطفال الشوارع و التحري عن طرق معيشتهم و تأثير ظروفهم المعيشية على أساليب تفكيرهم و اتجاهاتهم النفسية نحو الحياة و المجتمع و ما هي أولوياتهم و رغباتهم بشكل عام لابد أن تكون مثل تلك المقاربات مرنة و قابلة للتطبيق لتلبية حاجات المتعددة لهؤلاء الأطفال يضمنها توفير التوجيه و الإرشاد المناسبين و دعم برامج العناية الخاصة لنيل ثقتهم من خلال خلق أجواء بعيدة عن التخويف يشعر بها الطفل بالراحة و الطمأنينة.

يتمثل مفهوم حماية الطفل في الإجراءات والأطر اللازمة هو منع حدوث الإهمال والعنف والرد على الإساءة المعاملة التي تؤثر على الأطفال وبعبارة أخرى نقصد بمفهوم حماية الطفل الحد عنه من الأذى والدفاع عنه من أي فعل يضر به نفسيا أو جسديا وتعزيز سبل حمايته والحفاظ على حقوقه على النحو الوارد في اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل وسائر اتفاقيات حقوق الإنسان والمعاهدات الإنسانية والقوانين الوطنية[٤٣] .

ويقصد بالإساءة هنا كل فعل متعمد من دروب سوء المعاملة التي تؤذي وقد تؤدي بإيذاء الطفل ومساس سلامته وصحته ورفاهيته وكرامته.

42 Jodelet Denise, les représentations sociales, P.U.F, Paris, 1990.

43 Bourcet Stéphane, et all, psycho-pathologie clinique, ellipses, France, 2003.p89

الخاتمة :

إن قضية أطفال الشوارع أصبحت في الوقت الحاضر، من القضايا الرئيسية التي يعطى لها أهمية كبرى من طرف المجتمع الوطني و الدولي نظرا لما أفرزته هذه الظاهرة من آثار سلبية على شخص الطفل في حد ذاته، و على النسيج الاجتماعي و يأتي تطور فلسفة حقوق الطفل ضمن اهتمام عالمي واسع، اخذ في التنامي بعد نضال حثيث و جهود دولية رامية، و تبلور ذلك بتخصيص وثيقة دولية تختص بالطفل و حقوقه.

فمن الإعلان العالمي لحقوق الطفل، و الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1959، و الذي نص على أحكام عدة لحقوق الإنسان تنطبق على الطفل و أضاف أن الطفل "يحتاج إلى حماية و عناية خاصة، و خصوصا إلى حماية قانونية مناسبة، سواء قبل مولده أو بعده"، مرورا بالسنة الدولية للطفل 1979 و التي أعلنتها الجمعية العامة و ذلك لتشجيع كافة الدول على تحسين رفاهية الطفل وصولا إلى الإعلان عن اتفاقية حقوق الطفل الدولية عام 1989 و مصادقة اغلب دول العالم عليها و دخولها حيز التنفيذ منذ ذلك التاريخ.

و بذلك فتح المجال لعقد العديد من المؤتمرات الدولية، و أعدت الدراسات المتصلة بحقوق الطفل و سن تغيير التشريعات و القوانين بما يتوافق مع اتفاقية حقوق الطفل الدولية و مناهضة جميع أشكال العنف و الاستغلال للطفل.

فتصاعد الاهتمام بهذه الشريحة من طرف المختصين في كافة المجالات، وقد هدفت هذه الدراسة إلى معرفة التصورات الاجتماعية لأطفال الشوارع وذلك للوقوف على أبعادها النفسية و الاجتماعية.

إن الشارع بطبيعته ، وطبقا لتصور الجماعة عنه ، هو مكان عمومي مخصص للمواصلات، و بالتالي فلا مكان للطفل فيه، بل أن الشارع صمم على أساس رفض الطفل على اعتبار أن الطفل إما أن يكون في رعاية والديه " الأسرة " أو يكون في المؤسسة التعليمية" المدرسة"، و الجماعة لا تعترف إلا بهذين البعدين بالنسبة للطفل ، و هذا يفترض ضمنيا رفض وجود الطفل و حده في الشارع.

وهكذا فلا مكان للطفل في الشارع يتحرك فيه بكيفية مشروعة، و هذا ما جعل المسؤولين عن تخطيط المدن و الأحياء الحديثة يعطون اهتماما كبيرا لمسألة توفير المساحات المخصصة للأطفال و المراهقين سواء على شكل حدائق ألعاب أو أماكن لممارسة بعض الهوايات و الأنشطة الرياضية.

و في الأخير ما عسانا أن نقول إلا أن الطفل هو رجل الغد و ثروة الأمم و الاستثمار الحقيقي للنهوض و التقدم و الرقي، لذا وجب الاهتمام بالطفولة و حمايتها ورعايتها من طرف الجميع من أسرة و مدرسة وكذا مختصين في مجال علم النفس و التربية و علم الاجتماع .